خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

٣٠ من ذي الحجة ١٤٣٥ هـ / ٢٤ من تشرين الأول ٢٠١٤ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستنّ بسنّتهم إلى يوم الدين.

من اعتمد على علمه ضلّ، ومن اعتمد على عقله اختلّ، ومن اعتمد على سلطانه ذلّ، ومن اعتمد على ماله قلّ، ومن اعتمد على الناس ملّ، ومن اعتمد على الله، فلا ضلَّ ولا قلَّ ولا ملَّ ولا ذلَّ ولا اختلَّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عزَّ وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى جل جلاله في محكم التنزيل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].

روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه).

معاشر الإخوة: يستقبل العالم العربي والإسلامي عاماً هجرياً جديداً، يدخل في عداد التأريخ الإسلامي، إن المسلمين اعتبروا الهجرة بداية تاريخهم في الحياة، ولم يعدوا ولادة النبي ﷺ ولا مبعثه مبدأً لذلك التاريخ الحافل البعيد، ولم يكن هذا التصرف إلا فقهاً منهم في دينهم، وبصراً نافذاً في معرفة حقيقته وتقديس روحه، فالهجرة سفراً من مكة إلى المدينة المنورة حادثٌ لا يُذكر ولا يُقدر، فكم في الدنيا من أسفارٍ أطول وأبعد مشقة من هذا السفر القاصد، إنما روعة الهجرة أنها عقيدة وتضحية وفداء وكفاح، وإصرار غريب على مغاضبة الدنيا الثائرة الحاقدة، والتذرع بالوسائل التي في مقدور البشر مُغالبتها، فإما موت كريم، وإما نصر كريم، هذه الحفنة من المؤمنين التي عانت

آلام الغُربة الروحية والقلة المادية سنين عدداً، فما وهنوا ولا استكانوا، بل خلفوا في اللحظة الأخيرة دورهم وأموالهم ونزحوا عنها، هؤلاء هم المؤمنين الأبطال، هم الذين أعطوا الهجرة بأعمالهم الخالدة روح الخلود، وعلموا الحياة كيف تُرجح المبادئ بكل ما توزن به من مآرب أو متاعب، وكيف تتخطى كل ما يَعوقها مِن صعاب، وهؤلاء وصفهم الله بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيم﴾ [البقرة: ٢١٨].

لقد مكث الرسول ﷺ ثلاثة عشر عاماً في مكة يدعو إلى الله على بصيرة، ويهدي الناس إلى الحق في تؤدة ومهل، ويفك أغلال القرون الأولى ليرد على البشر كرامتهم المفقودة، وما كرامة البشر إلا كرامة الفطرة السليمة والقلب المستنير والعقل الرشيد، وكان الرسول ﷺ في دعوته لدينه سهلاً واضحاً مطمئناً إلى نصاعة الحق الذي شرفه الله به، فهو لا يطلب من الناس إلا أن يُمكنوه من شيء واحد، أن يتركوه يُلق ما معه بين أيديهم، وأن يُسلطوا عليه أفكارهم وحدها، فإما قبلوه وإما رفضوه، وهو لم يجنح في سبيل الانتصار لدينه إلى أساليب الدعاية الملتوية، ولم يتكلف في تأليف أنصاره أو رد خصومه وسائل الإغراء والإغواء، فهذا ذلك ليس شرفاً للدعوات المعتادة، فما بالك بدعوة أودع الله في تعاليمها عناصر الديانات السابقة، وأودع في قواعدها حَاجات العصور المتلاحقة، لا جَرم أنها أسمى مكاناً مِن أن تقوم على الحق وحده، وأين يَستطيع الإنسان تميز الحق من الباطل؟ أين يستطيع الإنسان -يا سادة- تمييز الحق من الباطل؟ في جو الحرية النقي من شوائب الضغط والقسوة والاستبداد، في هذا الجو تَتنازع المبادئ وتتدافع المذاهب، ولكن النتيجة محتومة، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧] والأغبياء والطغاة يكرهون أبداً حرية الرأي، لأنهم يَعيشون في ظلال الجدران التي تُسجن ورائها كرامة البشر النفسية والفكرية، وطالما قال رسول الله ﷺ للمشركين: ﴿لَكُم دِينَكُم وَلِيَ دِين﴾ [الكافرون: ٦] فأبوا إلا أن يقولوا له لنا ديننا وليس لك دينك، ومن ثم سُلطت القوة الجائرة لمحاربة الألسن التي تَجهر بالقرآن، والقرآن هو يومئذ صحافة المسلمين التي تنطق باسمهم وتدافع عنهم، واتبعت الطرائق الصبيانية للتشويش عليه وفض الناس عنه، وقد عبر القرآن الكريم

عن ذلك بقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] وكذلك سُلطت الفتنة القاهرة على المستضعفين من المؤمنين، فَشُرد مَن شرد وقتل من قُتل، وشعر المؤمنون الباقون على عقيدتهم بالمغارم الفادحة التي تَحل بهم، ولكنهم صبروا على المكاره إيماناً واحتساباً وتطلعاً إلى ما عند الله، هل كان القرآن جديراً بهذه المواجهة العنيفة التي قوبل بها؟ نَعم لقد كان شديد الحملة على خصومه حقاً، ولكنه سلك في سبيل ذلك القوة الممزوجة بالنبل، والرجل النبيل إذا صرع خصمه لم يتركه على الأرض متعثراً في أذيال هَزيمته، بل يُسرع إلى الأخذ بيده قَبل أن يَستولي عليه شعور الخزي والمعرة في سقطته، وهكذا فَعل القرآن بأعدائه، فهو يلفت نظرهم إلى ضلالهم، ويضع أيديهم على أخطائهم، ثم يأبى أدباً وتكرماً أن يقول في شماتة الضال: إنك ضال، وللمخطئ: إنك مخطئ والآخر مصيب، وعظمة هذا الموقف يتجلى بقوله سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٤-٢٦] على أن هذا كله لم يرق في نظر قوم يأبون الاعتراف بطرق الإقناع والاقتناع، ويجمعون إلى جريمة الكفر جريمة الصد عن سبيل الله، فكانت خاتمة ثلاثة عشر عاماً في الدعوة إلى الله أَن تَشاور رُؤساء قريش في نفي الداعي أو حبسه أو قتله، فخاطب الله نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] ثم يستقر رأيهم على أن يقتلوه بطريقة يهدر فيها دمه ويضيع بها ثأره، وأصبح أهل مكة يَرقبون صوت الناعي لِيُبشر دولة اللؤم والغدر والطغيان أَن عدوها الألد قد لَقي حَتفها قبل أن يُوردها حتفها، ولكن هيهات، لقد خرج محمد ﷺ لم يَمسسه سوء، فإن الله العلي القدير لا يترك الحقائق العظمى تذهب قبل أن تأخذ مداها، وقبل أن تترك على تاريخ الأرض طابعها العميق، والدين الذي بُعث به إمام الأنبياء ﷺ هو أبو الحقائق العظمى وأمها، فهو باق وأسباب حياته باقية معه ما دامت السموات والأرض، نعم لقد أُخرج محمد ﷺ لِيُكمل الله به الرسالة التي لم تكن استوفت بعد جملة حقائقها، وعلم

الطغاة الذين ألجأوه إلى الهجرة مَدى الخطر المبيت لهم، وشعروا من الهواجس المنبعثة من أعماق نفوسهم أن الدائرة سوف تَدور قريباً عليهم.

قد هاجر الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه من مكة إلى المدينة، ومن قبله هاجر أكثر المسلمين، فهل كانت هذه الهجرة تهرباً مِن لقاء الموت؟ لا، يَدلك على ذلك أن هؤلاء المهاجرين كانوا وقود الغزوات والمعارك التي درات رحاها في سبيل الدفاع عن العقائد في سبيل الدفاع عن العقائد والأوطان، ولم يؤثر عن مهاجر أنه تردد في مواطن الموت لحظة، إذاً لم كانت الهجرة؟ كانت لأن الإسلام يُريد من أبنائه أن يعيشوا له وأن يحيوا له، كان الإسلام يَفرض عليهم أن يعيشوا من أجله حتى يكونوا له على ظهر الأرض، أمة راسخة البناء، ودولة سامقة اللواء، فحياة المسلم قذا في عين الكافرين، ناهيك وفضلاً عن حياة النبي ﷺ، فإذا استقامت للدين الجديد أمته ودولته سُفكت لحياطتها الدماء، وقدم للدفاع عنها الفداء، إذاً فليتمسك المسلمون بحياتهم، حتى يغرسوا نبت التوحيد في أرض الجزيرة وفيما حولها، ولا عليهم بعد إذ غرسوه أن يروووه بدمائهم، فما كانت الهجرة فراراً، ولكنها كانت انتصاراً، ولذلك سماها القران الكريم، حيث قال المولى جل جلاله: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ﴾ [التوبة: ٤٠].

معاشر الاخوة: الهجرة تعلمنا درساً كبيراً، أنه من هاجر من أجل الوطن رَبح الوطن وربح نفسه، ومن هاجر هروباً من الوطن خَسر الوطن وخسر نفسه، وسورية اليوم وطننا الحبيب تَعصف به العواصف العاتية من كل جانب، ولكنه لن يَغرق، لكن سورية لكن وطننا لن يغرق، لم، لأنه يحمل على متنه أناساً يُؤمنون بقضية مصير ووجود وحق، أما الذين هاجروا من السوريين وتركوا أوطانهم فراراً من الموت، ولسان حالهم يقول: سنأوي إلى بلد نَجد فيه الأمن والاستقرار، واتبعوا سياسة النأي بالنفس، كانت النتيجة أن غرقوا في البحار، ولحقهم حيث حلوا الذل والعار، من اتبع سياسة النأي بالنفس، وترك السفينة التي ينبغي أن يعتصم بها أصحاب الحق، فإنه ذاق الخزي والعار، ولم يجد له وطناً يَجد فيه كرامته، مع الأسف كم من بلد عربي اليوم يُعامل السوريين بكل غلظة وفظاظة وقسوة، لم؟ حتى يذلهم، العالم بأسره يَعرفك أيها السوري، يعرفك بأنك

تشمخ بأنفك من أجل الحق، وفي سبيل الدفاع عن الحق، وأنك صاحب عزة وكرامة، فهم يريدون إذلالك بأي طريقة كانت، ومع الأسف، تجد هذا الإذلال من الأمة العربية أكثر من الأمم الغربية أو العالم الغربي، فالوطن هو الكرامة، وإننا لندعو كل السوريين، كل الشرفاء، أن يعودوا إلى هذا الوطن، من أراد الكرامة فليرجع إلى سورية، ومن أراد أن يحفظ عليه كرامته فليرجع إلى هذا الوطن، كيف تتركون سورية أيها السوريون؟ كيف تتركون هذا الوطن عندما احتاج إليكم؟ ألم تعلموا في مدارسه؟ ألم تتربوا على ترابه وأرضه؟ ألم يُصبح عندكم ولديكم ثروات كبيرة؟ عندما اعتدى وتكالب المتكالبون على سورية، على دمشق، على هذا الوطن الأبي، واحتاجكم في اللحظات الحاسمة الشديدة؛ لذتم بالفرار حتى غرقتم في البحار، من يدافع عن الوطن إذا نحن تخلينا عنه، والله -يا سادة- لو أن كل سوري فعل كما فعل أهلنا الأشاوس أصحاب الزنود السمراء في عين العرب، وهذه مواقف تشرفنا، هذه مواقف تشرف الوطن، تُشرف كل عربي وسوري شريف في هذه القارات الخمس، عندما وجدنا نساء عين العرب كيف حملوا البندقية في وجه الإرهاب والمغتصبين، لأنهم -أردكوا- أدرك أهلنا في عين العرب أن أردوغان اللص يُريد أن يجعل منطقة عازلة من عين العرب، حتى يَفصلها عن سورية، ليقول المجتمع الأوروبي والعالمي بعده نريد إقامة دولة كردية، لكن أهلنا في عين العرب يقولون: لا، لا، نحن سوريون، لا يُمكن أن نفرق شبراً عن شبر من أرض هذا الوطن العظيم، خرج أهلنا الشرفاء في عين العرب، وقاوموا المرتزقة الذين جاؤوا من أمريكا واستراليا والسعودية وقطر والكويت والأردن وتركيا وغيرهم، وقفوا في وجههم وقالوا لهم: نحن مَن سيصون هذا الوطن، ونحن من سيدافع عن أهلنا وأعراضنا.

كم أتألم -يا سادة، دعوني أقولها بصراحة- كم أتالم يا سادة، عندما أسمع عن منطقة محاصرة من الإرهابيين أن أهلها يأكلون الشعير من الجوع، أقول: عجب، يُعاملونكم كالبهائم وأدنى، وأنتم تستكتون لإجرائهم، متى كانت البندقية تخيفنا يا سادة؟ متى كان الإجرام والعدوان يُخيفنا ويزعزع من عزيمتنا وكياننا، إيماننا أقوى من البندقية، رحم الله عمر المختار المجاهد العربي الليبي، عندما قال له أحد حارسيه أو أحد مرافقيه، قال له: يا عمر، إن ايطاليا سَوَّرَت ليبيا بالأسلاك

الشائكة، الأسلاك تلف حول أعناقنا. فأجابهم عمر المختار قال: إرادة الأسلاك أقوى أم إرادة الله؟ أنتم يا مَن تُحاصرون في المناطق التي حاصركم فيها المرتزقة داعش وفاحش والنصرة وغيرهم من الجبناء الأندال، تَركعون لهم؟ ترضون أن يدنسون أعراضكم، الهجرة علمتك أيها المسلم أنك مُسلم حقيقي أم مسلم مزيف؟ إما موت كريم وإما نصر كريم.

فإنني أقول لأهلنا المحاصرين، الذين حاصرهم الإرهاب والتمويل السعودي الغاشم: قُوموا وانتفضوا في وجه الإرهاب، لا تنتظروا الجيش أن يأتيكم حتى يُحرر أرضكم، أنتم مَن يَجب عليه أن يُحرر أرضه، أنتم عودوا إلى بيوتكم، عودوا إلى قُراكم، عودوا إلى مدنكم، وقولوا للمرتزقة لأصحاب الزنى تحت مُسمى جهاد النكاح: اخرجوا أيها الفسقة، اخرجوا يا مَن زيفتم دِيننا وشوهتم عقيدتنا، وطعنتم في أعراضنا وقطعتم رؤوسنا، اخرجوا لن نركع لإرهابكم ولا لإجرامكم، عندما يتكلم السوريون بهذا النفس الحر بهذا النفس الوطني؛ تَجد هؤلاء الجبناء يَركعون عند قدميك.

أيها السوري الحر، أنت صاحب حق، وأنت صاحب الأرض، وأنت صاحب المبدأ، لا تركع إلا لله، ولا تخشى أحداً إلا الله، واعلم أن حياتك ومصيرك وموتك بيد الله، فإذا آمنت بذلك فَسِر فإن الله ينصرك، واعلم أن النبي ﷺ تألبت عليه الدنيا، وتألبت عليه قوى الشرك والكفر، ولكنه انتصر في النهاية على الرغم من أنه كان وحيداً، لأنه صاحب حق، فالهجرة تُعلمنا أن الله يَنصر الحق وأهله ولو بعد حين، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانـ٢ـية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم ارحمنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض عليك، اللهم نسألك بهذه الأيام المباركة بهذا العام الهجري الجديد الذي هاجر فيه الحبيب الأعظم ﷺ أن تعجل بالنصر والفرج على وطننا الحبيب يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، اللهم إنا نسألك أن تثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، وأن تكون لهم معيناً وناصراً، فأنت الحق يا رب العالمين، اللهم عليك باليهود ومن والاهم فإنهم لا يعجزونك، اللهم مُنزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وخُذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، واجعله بشارة خير ونصر للأمة العربية والإسلامية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

مديرية أوقاف دمشق